

لقاء قناة المنار بالدكتور إبراهيم الجعفري
2007/9/10
(الوضع العراقي بين الفعل والمبادرة)

المقدمة: نبدأ من الحدث الدائر حالياً وهو النقاشات في الكونغرس حول تقرير بترايوس وكروكر المتعلق بالشأن العراقي.. يبدو أن هذا التقرير خلص إلى أن الاستراتيجية الأميركية قابلة لتحقيق أهدافها في العراق وعلى الرغم من بعض الصعوبات، إلا أن كل شيء على ما يرام بحسب التقرير.. هل تعتقد أن كل شيء على ما يرام اليوم في العراق؟

الجعفري: التقرير الذي قدمه راين كروكر وتقرير بترايوس اتجها باتجاه واحد، وركزا على مسألة وجود القوات الأميركية، وأثبت مجموعة حقائق بالنسبة لهم أولاً، وأكد على ضرورة التواجد الأميركي في أقل تقدير حتى صيف 2008، وكذلك ركز على أن وجود هذه القوات من شأنه أن يحقق انخفاضاً واضحاً بالنسبة للتحدي الإرهابي، كما تناول بشكل أو بآخر مسألة دول الجوار الجغرافي، وركز على قضية المليشيات.

نظرتي النقدية السريعة لهذين التقريرين أنه لا بد أن ننظر إلى الملف العراقي ليس من زاوية التنافس الديمقراطي - الجمهوري في الإطار الأميركي، ولا من زاوية الخلافات الحادة بين الوضعين الدولي والإقليمي، وإنما ينبغي أن نتناول الملف العراقي كفعل ومبادرة بعيداً عن هذين التناقضين التناقض الأميركي الداخلي الجمهوري الديمقراطي والتناقض الدولي الإقليمي.. فيجب أن نبرز للساحة العراقية وجهاً مشرقاً آخر بفعل الأداء السياسي القوي الذي يجعل المبادرة والفعل بيد العراقيين وهم الذين يتناولون سير الأحداث.

لذا كنت أتمنى أن يشار في أكثر من مرة في التقارير إلى الدستور العراقي والبرلمان العراقي والحكومة العراقية، أو ما قدم هذا الثالوث كإفراز ونتيجة جيدة للعملية الديمقراطية من دور بناء في إرساء العملية الديمقراطية.. في تقديري كانت ضمانات جيدة بأن تجعل العراق على الرغم من كل التحديات الكبيرة والخروقات التي حصلت هنا وهناك سواء من الداخل أو الخارج.. الذي وقف في هذه الأزمة هو الإفرازات الديمقراطية والتي أسهم فيها الشعب كله؛ ليصنع هذا العراق الجديد، ويتطلع إلى التقدم نحو الأمام.

المقدمة: في تقرير بترايوس قال الجنرال الأميركي: إن التقدم السياسي لن يحصل إلا إذا كان مستوى الأمن كافياً.. جاء على الحديث بعض المسارات السياسية، وربطها مع الشق الأمني وجعله الأساس في البداية؟

الجعفري: في التقريرين كان هناك تفكيك بين الجانب الأمني باعتباره أكثر التصاقاً بالقوات متعددة الجنسيات وقوات التحالف والقوات الأميركية على نحو الخصوص، وبين الموقف السياسي والتقييم السياسي باعتباره تطورات سياسية عراقية، ويتحمل بالدرجة الأساس

السياسيون العراقيون مسؤوليته، أما طبيعة التأثير المتبادل بين الأداء الأمني والسياسي فلا ينكره أحد.. فالمواطن العراقي يتطلع لنتائج في مقدمتها أداء أمني قوي فكلما اختل الوضع الأمني تتصدع البنية السياسية المتمثلة بالبرلمان والحكومة.. فلا يمكن التفكير بين هذين الأمرين، بل والأمر الثالث وهو مستوى الخدمات والجانب الاقتصادي.

من يدقق في التقرير يجد فيه منحى سياسياً أيضاً فقد استعار بعض المفاهيم المرتبطة بالوجود العسكري، وأشاد في فروق جوهرية قد حصلت من خلال التواجد العسكري الأميركي على الساحة العراقية، كما كان يركز على أن هذه الفترة تحتاجها القوات الأميركية حتى صيف العام المقبل، وهذا مفهوم ركز عليه الطرفان وأشارا بشكل أو بآخر إلى العملية السياسية وأن هناك تحديات وأن الطريق طويل.

نحن نعتقد أن العملية السياسية العراقية صنعها العراقيون، وهم مستمرون في مواصلة الطريق نحو التكامل.. ربما نتقبل أن تكون قوات متعددة الجنسيات لضرور استثنائية على الأرض، ونتطلع لخروجها في أسرع وقت ممكن، لكن لا يمكن أن نتعقل أن تكون العملية السياسية مرتبهة بإرادة خارجية سواء كانت الإرادة إقليمية أم دولية.

المقدمة: في هذا التقرير تمت الإشارة إلى أن الانسحاب المبكر من العراق سيكون كارثياً على الأوضاع المعيشية والأوضاع السياسية والأوضاع الأمنية، مما يعني بقاء قوات الاحتلال في العراق مدة أطول، واستند أيضاً بترايوس قبل ذلك إلى أن بقاء قوات الاحتلال الأميركي في العراق نتيجة لمطلب الحكومة؟

الجعفري: لا يوجد بلد في العالم يقبل بأن تتواجد قوات أجنبية على أرضه؛ لأنها تعني من جملة ما تعنيه أن هناك خللاً أمنياً كبيراً في هذا البلد، وهناك عجزاً في الأجهزة الوطنية، وما من بلد من البلدان تعرض لوجود قوات أجنبية إلا وطالب بجدولة انسحابها في أسرع وقت ممكن، وعندما تكون هذه القراءة قراءة انسحاب فوري ومفاجئ يسبب خللاً كارثياً فهذا يترتب عليه استحقاقات منها أن نحث الخطى، ونسرع في ملء هذا الفراغ، وأنا أعتقد أن القوات العراقية قادرة على أن تنمو باطراد، وبنموها تملأ الفراغات.

بقاء القوات الأجنبية في العراق، أو انسحابها منه مسؤولية كل الوطنيين السياسيين العراقيين سواء كانوا في داخل الحكومة أو خارجها، ويجب أن تعبأ كل الطاقات الأمنية للإسراع في اختزال زمن التواجد الأجنبي، وعلينا أن لا ننتظر ما يسفر عنه سوق المنافسات الأجنبي؛ ليحدد حاجة العراق للقوات الأجنبية ومداها ووقتها.

المقدمة: إلى متى تطلبون من قوات التحالف البقاء حتى تستطيع القوات العراقية تسلم الأمور؟

الجعفري: نحن نتطلع إلى أقصر مدة ممكنة، وهذه المدة انعكاس للمدة التي تحتاجها القوات العراقية لاستكمال بنائها من الزوايا المتعددة اللوجستية والهيكلية والبنوية والتسليحية والتدريبية وغيرها؛ لذا يجب أن تكون هناك جدية عالية للسماح للقوات العراقية بأن تنمو في أسرع وقت ممكن؛ لتعتمد على قدراتها الذاتية، وعندما نوجد ونستطيع أن نوجد وفي زمن

ليس زمناً خيالياً وطويلاً تلقائية عراقية، وأداء عسكرياً عراقياً يستطيع أن يتصدى للتحديات الموجودة إلى جانب التقدم المطرد في العملية السياسية كما حصل في مبادرة الأنبار، والأداء العسكري في ديالى الذي انعكس على سير العملية السياسية فإننا سنودّع هذه القوات، ونستغني عن وجودها.

المقدمة: ولكن المتابع للتقارير والتصريحات الأميركية يلحظ أن هناك تشكيكاً بجهوزية القوات العراقية الأمنية... لماذا برأيكم؟

الجعفري: نحن لا نزعّم أنه لا توجد عقبات ومشاكل في طريق بناء القوات المسلحة العراقية، ولا حتى في سير العملية السياسية، فهناك تركة ثقيلة، وهناك محرضون كثيرون، ولكن يجب أن يكون مدعاة لمضاعفة الجهد، وقد أثبت العراقيون على مسيرة السنوات الأربع والخمس والنصف الماضية أنهم واجهوا هذه التحديات، ومضوا في بناء القوات المسلحة العراقية.

أعتقد أن الشعب العراقي شعب حي، وسير العملية الديمقراطية طالما انطلق من عمق الشعب، فالشعب وحده القادر على أن يحدد البوصلة بالاتجاه الصحيح، وهو الذي يحفز المسؤولين السياسيين جميعاً كلاً من موقعه على أن يثابروا من أجل تحقيق أحسن أداء سياسي عراقي، وأحسن أداء أمني.

المقدمة: هنالك مطالب من التقارير الأميركية بحلّ الشرطة العراقية بسبب اختراقات، وقد اعترف بذلك رئيس الحكومة العراقية السيد نوري المالكي...؟

الجعفري: بالنسبة إلى وجود الاختراقات التي يقول عنها المالكي فأنا أعتبر هذه الصراحة جيدة؛ لأننا ورتنا حكماً (حكم المقبور صدام)، امتد خمساً وثلاثين سنة، ويحمل تناقضات كثيرة؛ فلا ينبغي أن نرسم صورة وردية ونخدع الآخرين، لكن ذلك لا يعني التسليم بأن القوات العراقية عقيمة عن أن تتجاوز هذه الحالة، ولا حتى العملية السياسية هي الأخرى غير قادرة على أن تتجاوز هذه الحالة..

بل هناك طرق للحل ومشاريع للحل جديرة بأن تتجاوز هذه الحالة بتوقيات زمنية محددة، فالملفات التي تقف أمام نمو أداء الحكومة تشكل عقبات ليست قليلة ولكن كلها قابلة للحل، وهناك إرادة جادة من قبل القوى السياسية تكاد تجتمع كلمتها على التشخيص من حيث المبدأ وتحديد هذه المشاكل، والتفكير بعقلية الحل وتقديم المشاريع.

المقدمة: الولايات المتحدة تتحدث عن حل المليشيات، وتقوم بتسليح مليشيات جديدة.. ما الذي يريده المحتل اليوم في العراق؟

الجعفري: تسليح العشائر والقبائل يجب أن يكون بإشراف الحكومة وتحت إدارتها؛ لأن ما يربط العشائر والقبائل هو الرابط الوطني مع الحكومة المنتخبة باعتبار أن رئيس الوزراء هو القائد العام للقوات المسلحة، وهذا شيء طبيعي، وليس منحة ولا منة.

المقدمة: ألا تقلقكم هذه الظاهرة (ظاهرة تسليح العشائر) لاحتمال أن تكون مليشيات جديدة في العراق؟

الجعفري: العشيرة بالنسبة إلينا ظاهرة اجتماعية راسخة ومتجذرة في المجتمع العراقي، ولعبت دوراً كبيراً ورائعاً في مختلف مناطق العراق لمدة طويلة تمتد إلى قرابة الثمانين أو التسعين عاماً في الثورات والانقضات وغيرهما، لكن ينبغي أن نسلح بوعي ومن خلال بوابات الحكومة، وضمن أسس صحيحة.

وفي تقديرني التسليح الذي يجري الآن أدى ثماراً طيبة وجيدة بشرط أن يخضع لهذه الشروط، وعندما تنجح التجربة يمكن تعميمها على محافظات أخرى، وأؤكد القول: حينما نتجاوز هذه الظروف الشاذة والاستثنائية ونصير في المرحلة الاعتيادية فإننا لا نحتاج إلى تسليح قبائل، ولا القبائل بحاجة إلى أن تتحول إلى جيش، وتنعسكر؛ لأن العشائر يحركها الشعور الوطني العارم، وتحركها حرقها على البلد، والوقوف بوجه الإرهاب، وهذا شيء تُشكر عليه، ولكننا نتطلع أن تؤدي العشيرة دورها في مختلف المناطق التي نحتاج إليها، ثم تتحول كما هو المطلوب إلى مؤسسة مدنية تقوم ببناء العراق الجديد سياسياً واقتصادياً.

المقدمة: فيما يخص تسليح العشائر، خاصة في موضوع الأنبار .. هناك من يقول: إن الولايات المتحدة الأميركية بعدما كانت (تعتمد على الشيعة)، في العراق بدأت الآن بابتزاز الشيعة عبر تسليح (سنة الأنبار)؟

الجعفري: لا يهمني كثيراً كيف ينظر الأميركيون إلى المجتمع العراقي من زاوية سنية أو شيعية، ما يهمني أكثر من ذلك كله هو إن النسيج العراقي نسيج منسجم في خيوطه بين السنة والشيعة، وبين المسلمين وغير المسلمين، وبين العرب والكرد والتركمان وما شاكل ذلك.. هذا يهمني كثيراً، وبُذلت جهود كبيرة لتفعيل الجانب الطائفي لحركات جاءت من الخارج العراقي، وحاولت أن تتغلغل في الوجدان العراقي إلا أنها باءت بالفشل.

أعتقد أن الأرض العراقية هي أرض متجذرة في التحابب والتواشج بين السنة والشيعة، بالنسبة إلينا لا يقلقنا تسليح قبيلة من القبائل إنما يقلقنا هو القبيلة الطائفية سواء كانت سنية أم شيعية.

المقدمة: هذه العشوائية في توزيع السلاح على العشائر، وتأسيس مليشيات جديدة ألا تثير الخوف عندكم من حرب أهلية عراق؟

الجعفري: واقع الحال العراقية لا توجد فيه حرب أهلية على الإطلاق، طبعاً.. عدم وجود حرب أهلية في كل دول العالم لا يعني أنها - لا سمح الله - لا تندفع صوب الحرب الأهلية بعيداً

عن العراق، لكن كل الدول التي شهدت سجالاتاً في الحروب الأهلية لم تكن بالضرورة شكّلت عمقاً تاريخياً واندفعت فيما بعد إلى ذلك. وقد راهن الكثير على إمكانية اشتعال حرب طائفية أو حتى أهلية، ولكنهم وجدوا الشعب العراقي مُصرّاً على التمسك بوحدته. في تقديري.. القبائل العراقية لن تتقبل أن تتحول إلى أدوات لإشعال فتيل حرب طائفية أو حرب أهلية.

المقدمة: هناك اتهامات خطيرة على سبيل المثال: المُوجَّهة إلى حكومة المالكي حول موضوع تغذية الطائفية، وعلى سبيل المثال أيضاً: جبهة التوافق وهي الطرف السني الوحيد المُشارك في العملية السياسية لم يتم المحافظة على مشاركتها، و(لم يتم تنفيذ مطالبها)؟

الجعفري: أعتقد أن اتهام الحكومة بالطائفية فيه إحجاف، إنما كانت هناك مفارقة وهناك أبناء طائفة شعروا بحيف جراء تداخلات حصلت من الحكومة بشأنهم، لكن هناك فرق بأن يكون هناك خلل أو ملاحظة على أداء حكومي.. لا ينبغي أن ننتهم الحكومة بالطائفية. في تقديري هذه الملاحظات مدعاة للحوار الصريح مع الآخرين بعيداً عن شعارات الطائفية.

المقدمة: هل تعتقد أن التحالف الرباعي الذي يضم حزب الدعوة والمجلس الأعلى والحزبين الكرديين قادر على أن يقوم بهذا الحوار، وهل تتوقع أن تنضم جبهة التوافق إليه.

الجعفري: يُفترض أن تعكس هذه الأطراف والبنىويات والأطر الرباعية أو الخماسية أو السداسية وما شاكل ذلك إرادة الشعب، وتكون في خدمته، وتستعين به، كما يقول لنكولن: (من الشعب وإلى الشعب وبواسطة الشعب)، وكلما استقرت العملية الديمقراطية أكثر فإنها ستتسع لتشمل كل القطاعات التي تعبّر عن رأي الشعب. بالنسبة إلى التشكيل الرباعية أو الخماسية فأنا لا أجد فيه ضرورة، وأنه لا يضيف الشيء الذي نتطلع إليه.

أمل أن نتجاوز هذه المراوحة، ونستحضر شعبنا والمعاناة التي يمرّ بها، وننشغل في المشاريع الحيوية التي من شأنها أن تنتشل واقعنا مما هو عليه إلى ما ينبغي أن يكون عليه.

نحن الآن بحاجة إلى مشاريع، والشعب ينتظر الآن، وعلى القوى الوطنية العراقية أن تساعد الحكومة؛ لحلّ المشاكل الحقيقية التي يئنّ منها الشعب العراقي.

المقدمة: هل تعتقد أن هناك خلافاً داخل الائتلاف العراقي الموحد أثر سلباً في عمل الحكومة، والبعض يعتبرون ما جرى في كربلاء عيّنة من هذا الخلاف؟

الجعفري: بالتأكيد توجد خلافات، ولا أتصور مجموعة مهما صغر حجمها من دون يكون فيها اختلاف، وعدم وجود الاختلاف معناه إلغاء الجميع في فردانية واحدة أو في شخص واحد، لكن أن تكون الاختلافات لإضعاف الحكومة فهذا شيء لا يُشرّف، أما إذا كانت الخلافات لتقوية الحكومة وما حصل في كربلاء فأنا أتصور أنه عارض لقضية داخلية في العمق وهو عدم تدخل القوات حتى اللحظة في بسط هيمنتها في الحقول كافة من دون استثناء، وما لم نصل إلى ذلك المستوى الذي تكون القوات العراقية فيه وحدها هي المسؤولة عن استتباب الأمن في كل المناطق فأعتقد أننا سنشهد ظهور بعض الأزمات. يجب أن نهى مناهات مناسبة لجعل السلاح تحديداً بيد القوات المسلحة العراقية هذا هو الشيء الصحيح؛ حتى لا تحدث اختراقات كالتّي تمظهرت في كربلاء وغيرها.

المقدمة: جزء من هذه التعقيدات والعراقيل التي توضع أمام الحكومة العراقية هو الدور الخارجي أو دور دول الجوار وتحديداً الموقف السعودي وعدم استقبال رئيس الحكومة العراقية، وعدم دعم الحكومات العربية لحكومة المالكي، والاتهامات التي توجه إلى إيران بالتدخل في الشأن العراقي.. ألا تعتقد أنها تسهم في إضعاف عمل الحكومة وعرقلتها؟

الجعفري: من دون شك أن تقوية العلاقات الإقليمية من شأنه أن يضيف قوة على كل حكومة؛ لأننا نرتبط مع دول الجوار بأكثر من رابطة، خصوصاً الدول العربية.. نتطلع إلى استقبال رئيس الوزراء، والتحدث معه، وهذا هو السياق الطبيعي المتحضر للتعامل مع أي شيء. أنا أقدر تعاطف دول عربية مع السنة العراقيين حين تجد أن هناك حيفاً أصابهم، ولكن السنة العراقيين ليسوا مرتهنين بالوضع السني العربي وإنما هم مرتهنون بالوضع العراقي كذلك وبقية الديانات.

وقد رأينا ندوات، وسمعنا نداءات تتهم الحكومة بأنها امتداد لإيران، أعتقد أن هذا اتهام لا أساس له من الصحة، وإيران لا تشكل قلقاً؛ لأننا دولة لها سيادتها ونظامها وحدودها، ونحن عرب لنا تاريخنا ووضعنا ودولتنا ودستورنا، ولا نسمح بأي تدخل.

المقدمة: قلت دكتور إبراهيم الجعفري: نتمنى أن يكون العراق مفتاحاً للحوار بين هذه الدول القلقة نوعاً ما كالسعودية وإيران ودول جوار العراق.. هل تعتقد أن ذلك قريب أم تخشى أن يتحول العراق إلى ساحة لتصفية الحسابات؟

الجعفري: يوجد من يعتقد وأظن أنه صائب بعض الشيء أن العراق فيه تصفية حسابات، وفيه قلق مشترك، لكن هذا الشعور كامن وموجود عندهم، فعلياً أن نبحت عن مخرج هي الدول المجاورة للعراق مختلفة مع بعضها وبعض الأحيان ربما تكون هناك أزمات في بعض العلاقات، هذه الدولة يجمعها الجوار الجغرافي لا نقول ذلك من موقع التشفي ولكن علينا

ايضاً علينا ان نبرم علاقات قد تكون ملتقى هذه الدول، دولة تتخاصم مع دولة ثانية يمكن ان نبرم علاقة صداقة بيننا مصالح مشتركة، بيننا وبين دولتين ونستطيع ان نخفف الأزمة بينهما لا اريد تسمية الدول حتى لا امسها وامس مشاعرهما، لكن تعرفيني جيداً ان هذه الدولة وتلك الدولة كلتاها دولتان جوار عراقي يختلفون بينهما، وهناك سجلات بينهم وهذا شيء لا يشرفنا يمكن ان نلعب دور في تخفيف هذه الأزمة او على الأقل كخطوة أولى نبرم علاقة بيننا وبين هذه الدولة ومستقلة عن هذه الدولة.

المقدمة: هل تعتقد أن الخروج من النفق المظلم عراقياً بات قريباً؟

الجعفري: الخروج من النفق أكيد - بإذن الله تعالى- بمعايير اجتماعية وأخلاقية وسياسية، وكلمة قريباً لا يستطيع الإنسان أن يحدد لها زمناً لكن من دون شك أن شعباً قضى مسيرة من النضال في مواجهة أعتى دكتاتورية في العالم (دكتاتورية صدام)، قادر على أن يحقق إنجازات من خلال ثروته الأخلاقية والحضارية وبنيتة التحتية وما حباه الله (تبارك وتعالى)، بمختلف أنواع النعم.. بالنتيجة كلهم يجمعهم همّ البلد.. الكل يفكر بمنطق التسابق السياسي ضمن عملية الديمقراطية، وأنا أعتقد أن هذا صمّام أمان كافٍ لأن يجعل العراق على أعتاب مرحلة جديدة ليدخل النادي الديمقراطي في العالم، من دون الحاجة إلى دبابة أو تآمر وما شاكل ذلك.